شهرية السينما

تمتاز الأفلام التى عرضت فى هذا الشهر عامة بتفاهتها قصة وإخراجا ، هذا إذا استثنينا فيلماً أو فيلمين عرضا فى الأسبوع الأخير . وهذه الظاهرة التى نلمحها فى الانتاج العالمى الذى يعرض فى القاهرة تعود لا إلى ركود سائد بين فنانى العالم ، وإنما ترجع إلى نوع الأفلام التى يتاح لشعب مصر أن يشهدها . وقد قلت فى مقال سابق إن السينما الأمريكية تعانى أزمة شديدة ، ودرست مظاهر هذه الأزمة وأسبابها ، وقارنت بين الانتاج الأمريكى والانتاج الأوربى ، وانتهى بنا الرأى إلى أن أوربا قد تفوقت على أمريكا فى هذا المضمار فى السنوات الأخيرة . نحن نعلم أن انجلترا وفرنسا وإيطاليا جادون فى الارتقاء بالفن السينمائى ما وسعهم ذلك . فاذن كيف لم يتح لنا أن نشهد هذا الانتاج حتى الآن ؟ ولا نستطيع الاجابة على هذا السؤال إلا إذا اقتحمنا ميدانى السياسة والاقتصاد فى العالم ودرسنا سيطرة أمريكا على دول أوربا اقتصاديا . وبما أن هذه الشهرية لا تعنى بالمسائل الاقتصادية ، وإنما تعنى خاصة بالفن السينمائى من حيث هو فن ، فلن أقتحم الميدان السياسى أو الاقتصادى ، بل سأكتفى بأن أكرر ما قلته سابقاً : وهو أن أمريكا ، لكى تتيح لأفلامها الرواج ، قد فرضت على الدول الأخرى فروضاً تحد من إصدار إنتاجها . وقد يكون هناك سبب آخر بعيد كل البعد عن الاقتصاد والسياسة ، سبب يعود إلى الفكرة السائدة فى الغرب عن بلاد الشرق وتقهقرها ثقافيا ، مما يجعل المنتجين يعتقدون أن بلاد الشرق ميدان صالح لعرض أتفه الأفلام . وهذه الفكرة قد أوحاها ما يعرض من أفلامنا المصرية فى أوربا بين حين وحين وما يقال عن تهافت المصريين عليها .

وقد اخترت بعض الأفلام التى عرضت أخيراً لأتحدث عنها . فقد سعى إلى بعضها الجمهور ليشهدها راضياً مطمئنا لما يبعثه عنوانها وأسماء ممثليها من رضا واطمئنان ، وسعى إلى البعض الآخر وهو يعرف ما ينتظره من ملل وسأم ، وإنما دفعه الفضول ليشهدها فيدرك ما وصلت إليه بعض الجهات الفنية من تقدم إن كان هناك تقدم يلتمس ، أو من تقهقر إن لم يكن هناك تقدم يلتمس . ومن اليقين أن جمهورنا مع ما يعرف عنه من ثقافة عالية وذوق مرهف لم يرض عن هذه وتلك ؛ لأنه ليس ثمة ما يدعو إلى الرضا .

أفلام الرعب

فى الواقع أننا لم نشهد إلا فيلمين من هذا النوع ، وهما من انتاج فرنسا . وهذا ما يجعل لهما شأنا عند النقد ؛ لأن المنتجين الفرنسيين لم يحاولوا قبل ذلك أن يصنعوا أفلاماً مخيفة . وكان هذا النوع من الأفلام وقفا على أمريكا . وقد وجد مخرجو هوليوود وسائل كثيرة لاثارة الرعب فى قلوب الشاهدين ، واكثروا من هذه الوسائل ثم

أسرفوا فيها حتى انصرف الجمهور عن تلك الأفلام . نحن لم ننس أفلام « فرانشكتين » و « دراكولا » و« زومبى الأبيض » و« شبح الأوبرا » ولم ننس ممثلى هذه الأفلام بيلا لوجوزى ولون شانى فى عهد الأفلام الصامتة . فنحن هنا إزاء نوع جديد من الأفلام الفرنسية يهمنا أن نعلم إلى أى مدى نجح المخرج فى إنشاء الجو الملائم لها واختيار الممثلين الصالحين . وأول هذه الأفلام هو « القاتل يخاف ليلا » *L'assassin a peur la nuit* وهذا العنوان الطريف يدفع وحده الشاهد إلى أن يسعى إلى السينما ليشهد هذا الفيلم معتقداً أنه سيمضى ساعات عذبة تنسيه الحياة واضطرابها ، لما سيكون فى القصة من مواقف مثيرة تستأثر بحواسه وتجعله فى لهفة متصلة مدة عرض الفيلم . ولكن ما يتخيله الشاهد شئ وما أنتجه المخرج الفرنسى دلانوا شئ آخر . فالقاتل أولا ليس بقاتل وهو لم يخف مطلقاً سواء أكان فى الليل أم فى النهار . والقصة تسير فى هدوء تام ؛ فلا إثارة ولا لهفة ولا أى شئ من ذلك الذى كان يعده به العنوان .

وقد أعلن عن شريط آخر من النوع نفسه عنوانه « فونتوماس » وقد كثرت الشائعات حول مناظر هذا الفيلم المرعب ونصحت إدارة السينما للعصبيين ألا يشهدوا هذه القصة . فاعتقدنا أن هذا الفيلم سيصيب من رضانا أكثر مما أصاب الفيلم الأول فاذا هو لا ينال إلا سخطنا . فالممثل الذى كان يقوم بدور فونتوماس لم يكن يوحى الشر مطلقاً بل كان وجهه من تلك الوجوه التى تبعث الاطمئنان فى النفوس . والقصة خيالية من هذا النوع الذى كنا نشغف به أيام طفولتنا . والاخراج لم يوفق فى إنشاء هذا الغموض الذى يسود فى قصص الرعب ولا هذا الجو الذى يجعل الشاهد ملهوفاً حيناً وخائفاً مضطرباً حيناً آخر ، ولم يثر فيه الفضول وحب الاستطلاع ، بل مرت حوادث الشريط وعلى شفتى الشاهد ابتسامة سخرية واستهزاء لهذا العبث الذى يشبه عبث الأطفال .

فيلم ساذج

وهذا الفيلم هو « الأب الهادئ » أذكره لأنى استحسنت ممثله الأول نويل — نويل خاصة ، ولأنى أعجبت بممثليه الآخرين عامة مع أنهم لم يصيبوا شيئاً من الشهرة . ونويل — نويل هو الذى وضع السيناريو وأشرف على تحقيقه وقام بدور بطل القصة التى تجرى حوادثها فى فرنسا أثناء الاحتلال . وهى تحاول أن تعطينا صورة عن حركة المقاومة أثناء الحرب الأخيرة ، ولكنها لم تصل إلى أن تصور لنا حال تلك الحركة تصويراً صادقاً واقعيا .

فمن المعلوم أن أعضاء حركة المقاومة قد عانوا صعاباً كثيرة وذاقوا عذابا مريراً وكافحوا كفاحاً عنيفاً ، وأن الألمان كانوا أكثر دهاء وأوسع حيلة مما جاء فى سيناريو نويل — نويل . ولكن إذا استثنينا هذه الناحية من القصة فنحن نجد فيها صورة صادقة لشعور الفرنسيين وحياتهم لم يفلح الامريكيون فى إعطاء مثلها فى أفلامهم عن المقاومة .

والأب الهادئ هو رب أسرة يبدو أن ليس ثمة شئ يشغله عن أزهاره ، ولكنه

فى الحقيقة رئيس فرقة من فرق المقاومة . فهذه الأزهار التى يبذل لها جهده ويشملها بعنايته ما هى فى الحقيقة إلا ستار يخفى وراءه نشاطه السياسى والحربى . وهذا الهدوء الظاهر يتيح له أن يتقرب من قوات الاحتلال وأن ينبئ المركز الرئيسى فى لندن عن حركاتها ونياتها . ويدوم نشاط الأب الهادئ إلى أن يشتبه فيه الألمان فيقبض عليه ، ولكن الحظ لم يخنه فينقذ من قبضتهم.

وقد نجح نويل—نويل فى تصوير شخصية هذا الرجل الهادئ ، كما أنه نجح فى أن يعرض هذه الحوادث الخطيرة دون تلك المغالاة التى أسرف فيها الأمريكيون فى جميع أفلامهم عن الحرب .

مأساة موسيقية

والمأساة الموسيقية التى أريد التحدث عنها هى « خيبة أمل » Deception ثالث الأفلام الموسيقية التى عرضت فى هذا الموسم. ولا يسعنا إلا أن نشكر الأمريكيين على هذه السياسة الحميدة التى يتبعونها ، وهى نشر الموسيقى الكلاسية وتعميمها بين أفراد الجمهور . ولا أريد هنا أن أدرس قيمة ما اختير من قطع موسيقية فى هذه الأفلام، فاختيارها عامة موفق كل التوفيق ، إنما أريد أن أدرس فيلم « خيبة أمل » قصة وإخراجاً وتمثيلا .

وعنوان هذا الفيلم اختياره موفق ، فهو ينبئك بما ستكون فيه من حال بعد شهود القصة . إن الأمريكيين قوم لا تنقصهم المهارة ليهيئوا لأتفه أفلامهم نجاحاً كبيراً. فحين تكون القصة ضعيفة يحشدون لها أرفع الممثلين فنا وأوسعهم شهرة ليجتذبوا إليها الجمهور . وهذا هو ما حدث فى فيلم «خيبة أمل » الذى مثله ثلاثة من كبار الممثلين الأمريكيين ، وهم بيت دافيز وبول هنريد وكلود رينز ، فلم ينقذ تمثيل هؤلاء هذه القصة ولم تغر الجمهور هذه الأسماء ذات الشهرة العالمية ، وإنما غادرنا قاعة العرض ونحن ندهش لجرأة منتجى هوليوود واستخفافهم بجمهور الشاهدين وعبثهم بالفن السينمائى . نعم ! إن هذه القصة مقتبسة من مسرحية للويس فرنوى ، وإن هذا المؤلف فرنسى لا أمريكى . ولكن ألا يوجد فى الأدب الفرنسى كاتب آخر غير لويس فرنوى إن أراد منتجو أمريكا أن يستمدوا أفلامهم من الأدب الفرنسى ؟ إنى لا أنكر على هذا المؤلف قيمته الفنية وقدرته على إيجاد المواقف الطريفة المضحكة ودعاباته المحببة . غير أن مسرحه قد فقد كثيراً منذ أنشئ ، ثم إن فيه تكرارا للمواقف ، حتى إنك لا تجد فيه إلا موقفاً وحيداً يعاد بأساليب مختلفة . وهكذا تجد فى « خيبة أمل » قصة حب أبطالها ثلاثة لا اثنان كما هى العادة فى مسرحيات لويس فرنوى . والشاهد يلحظ كما تقدمت حوادث القصة أن الشخصيات قد رسمت اعتباطاً دون عناية بنفسياتها ودون أى ملاءمة بين تصرفاتها وطباعها التى وضعها المؤلف لها . تجد مثلا امرأة كل ما حولها ينبئ بأنه كان لها عشيق . ومع ذلك فهى تكذب على زوجها وتمعن فى الكذب . إنها امرأة شريفة مخلصة لزوجها وتعلم أنها تهدم بهذا الكذب زواجها الذى لا تريد أن تهدمه . وتجد أيضاً زوجا غيورا تكاد غيرته تكون مرضا ، ولكن المؤلف يجعله يتصل بعشيق امرأته ويطلب منه المساعدة . وتجد

أخيراً هذا المنظر الذى لجأ إليه المؤلف ليختم به قصته حين تعقدت الأمور أمامه ولم يجد للقصة مخرجاً : فجعل المرأة تقتل عشيقها لأتفه الأسباب . وما أيسر القتل عند المؤلفين حين تتعقد الأمور ويفقدون السبيل إلى حلها .

وقد قلت إن التمثيل لم ينقذ القصة مع أن الممثلين ذوى شهرة وقد أصابوا فيما مضى نجاحا كبيراً . فكلنا نعجب ببيت ديفيز وقدرتها الفنية وتعبيراتها الصادقة ، ولكنها فى هذا الفيلم لم تبلغ ما بلغته من سمو فى أفلامها السابقة ،فهى تكرر نفسها ، إن صح هذا التعبير ، وتسرف فى الايماءات كأنها حديثة عهد بالتمثيل . حتى بول هنريد الذى لقى توفيقاً كبيراً فى أدواره السابقة لم يصل إلى النجاح المرتقب له ؛فقد غالى فى بعض المواقف ولجأ فيها إلى العنف مع أن الهدوء والقصد كانا أصلح لها وأجدى . أما كلود رينز فهو دون الآخرين قد وجد سبيله إلى الأداء الحسن الذى يجذب الشاهد ويجد بينه وبين الممثل صلة وثيقة . فهوحين يقوم بدوره ويؤديه هذه الأداء المقتصد يثير فى الجمهور الاعجاب والاستحسان . وهو إلى هذه الصفات الحميدة عند الممثل يضم القدرة على التغلب على مصاعب الدور : لن ننسى له هذا المشهد الذى يحاول فيه أن يكتم حقده على تلك المرأة التى غدرت به . ولكن هذا الحقد إن لم يكن ظاهراً فى نبرات صوته فهو واضح فى نظراته واضطراب يديه . وملخص القول أنه لا يثبت شئ فى ذهنك حين تنتهى من مشاهدة الفيلم قصة فرنوى أو تمثيل بيت ديفيز وبول هنريد ، وإنما تخرج وأنت تذكر شخصية الموسيقى العبقرى التى مثلها كلود رينز .

رشدى عامل